الأغراض البلاغية لأقسام الالتفات في القران الكريم

د. سعاد مد الله مجيد

جامعة تكريت /كلية التربية – سامراء/قسم اللغة العربية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

وبعـــــد :

تنوع الأسلوب ألقراني تنوعاً غزيراً وعجيباً ، فكانت ألفاظه منظمة تنظيما فيه من الدقة والتميز ما اذهل العرب الفصحاء وراعهم ما وجدوا فيه من بلاغة ، فعجزوا على أن يـــأتوا بمثله او ان يأتوا ولو بآية من مثله وان نزل بلغتهم ، فكان معجزة الرسول (صلى الله عليـــه وسلم) الخالدة ، وهم يرونه مفخرتهم لا يشاركهم فيها احد سواهم وورد القران الكريم حاملاً الحقيقة والمجاز ، فبعض الايات تفسر على حسب اللفظ الظاهر فتعبر عن معناها الحقيقـــي ، وبعضها يحمل معاني مجازيه لا تغيير على الحقيقة ، ونجد كثيرا من الاغراض البلاغيـــة لا تعطي المعنى الحقيقي لها بل تذكر مراداً بها اغراضاً اخرى غير الغرض او المعنى الحقيقي (اغراض مجازية) فمثلاً قد يرد الاستفهام مراداً به معنى آخر غير الاستفهام ويسمى عندئذ غرضاً مجازياً . كما في قوله تعالى ((هل جزاء الاحسان الا الاحسان))(١) أي ما جزاء الاحسان الا الاحسان ، فخرج إلى معنى النفي (غرض مجازي) وكذلك الأمر يذكر ويراد به معنى آخر كما في قوله تعالى ((اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير)) (٢) فهو تهديد ووعيد للعاصين والمتكبرين .

كذلك الالتفات فهو مثل باقي الاغراض البلاغية يحمل معنى حقيقياً وآخر مجازياً فـــان القصد العام له جلب انتباه السامع عند الانتقال من اسلوب الى آخر ، وله اغـــراض اخـــرى سنوضحها في البحث ولايمكن حصر كل الامثلة الا ان القياس على ما اذكر منها . وذلك بعد أن ابين المعنى اللغوي والاصطلاحي للالتفات ثم انتقل إلى ذكر اسبابه وفوائده وأهم تقسيماته ، لانتقل بعد ذلك الى الاغراض المجازية التي يحملها الالتفات وبعد ذلك اختم بحثي بخلاصة عن الموضوع توضح وتبين أهم ما ورد فيه من أمور مختلفة .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا والله ولي المؤمنين

الالتفات في اللغة : مأخوذ من الفعل الثلاثي (لفت) ومعناه الصرف يقال : لفت وجهه عـــن القوم صرفه ، والتفَت التفاتاً اكثر منه ، وتلفَّت الى الشيء والتفت اليه صرف وجهه اليه (٣).

(واصل اللَّفْت لَيُّ الشيء عن جهته والطريق المستقيمة كما تقبض على عنق انسان فَتَلفَتَه) [٤]. ومنه (لَفَتُّهُ) عن رأيه (لفتاً) اذا صرف عنه[٥] .

ومنه قوله ((صلى الله عليه وسلم)) : (ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يلفت الكلام كما تَلفِت البقرة الخَلَى بلسانها) [٦] .

الالتفات في الاصطلاح :

(هو نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب آخر) [٧] او هو العدول عن الغيبة الى الخطاب او التكلم او على العكس) [٨] .

(الالتفات حقيقة مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لانه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة) [٩] . كما في قوله تعالى ((حتى اذا كنتم في الفلك وجريت بهم)) [١٠] وقوله تعالى ((والله الذي ارسل الرياح فتشير سحاباً فسقناه الى بلد ميت)) [١١] .

(يُعد الالتفات من افانين الكلام وهو بمجرده معدود من الفصاحة) [١٢] .

وسماه ابن جني (شجاعة العربية) [١٣] وانما سُمي بذلك لان الشجاعة هي الإقدام وذاك ان الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورّده سواه وكذلك هذا الالتفات في الكلام فإن اللغة العربية تختص به من دون غيرها من اللغات[١٤] .

قال الشيخ بهاء الدين السبكي : لم أر مَن ذكر هل هو حقيقة أو مجاز ، قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد[١٥] .

والمشهور عند الجمهور ان الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة وهي كما معلوم الغيبه والتكلم والخطاب بعد التعبير عنه بطريق آخر منها وهذا اخص تفسير السكاكي[١٦] .

فقد قال : اما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره[٧١] . فهو أراد ان يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس[١٨] .

وشرط الالتفات ان يكون في جملتين مستقلتين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه[١٩] ، وهو نقل معنوي لا لفظي وان يكون الضمير في الملتفت اليه عائداً في نفس الامر الى الملتفت عنه ليخرج نحو ((اكرم زيداً واحسن اليه)) فضمير انت الذي هو في (اكرم) غير الضمير في اليه [٢٠].

ان هذا الانتقال في الكلام من اسلوب الى اخر انما يعطي المشهد او الصورة حركة وحياة ويجذب ذهن القاريءويجعله في غاية الانتباه والتركيز فالالتفات يحمل أعلى درجات التناسق اللفظي والمعنوي والتلوين والتناسب في الانتقال من اسلوب الى اسلوب .

اسبابه وفوائده :

لقد اشتمل القران على أنواع أساليب الكلام العربي وابتكر اساليب لم يكونوا يعرفونها فتميز بجمال العرض ، وتنسيق الاداء ، وبراعة التصوير والترتيب وأن لذلك التنوع حكمتين داخلتين

في الاعجاز :

الاولى : ظهور انه من عند الله ، اذ قد تعارف الادباء في كل عصر ان يظهر نبوغ نوابغهم على

اساليب مختلفة كل يجيد اسلوبا او اسلوبين .

الثانية : ان يكون في ذلك زيادة ا لتحدي للمتحدين به بحيث لا يستطيع احد أن يقول ان هذا الاسلوب لم يسبق لي معالجته ولو جاء بأسلوب آخر لعارضته[٢١] .

ولا نستطيع ان نقول ان هذا الاسلوب اقوى من غيره او ان هذا القول ورد بالاسلوب الفلاني ولو ورد بأسلوب آخر لكان اقوى فلا مجال للتغيير او التبديل في اساليب القران بعضها مع بعض لان

التناسق العجيب والتناسب بين الالفاظ والمعاني ارقى واروع من كل ما ورد في كلام العرب على قوة فصاحته ونظمه .

فالالتفات احد ابرز هذه الاساليب التي وردت في ايات القران لتدلل على عظمة هذا الكتاب الذي اعجزت اياته والفاظه ومعانيه كل فصيح وبليغ .

وللالتفات فوائد عامة وخاصة(٢٢) .فمن العامة كما هو رأي اكثر العلماء ، التفنن والانتقال من اسلوب الى آخر لما في ذلك من تطرية وتنشط واستجلاب للسامع وصيانة لخاطرة من الملال والضجر بدوام الاسلوب الواحد على سمعه(٢٣) ، وكذلك اتساع مجاري الكلام وتسهيل الوزن والقافية(٢٤) .

ويرى ابن الاثير ان الامر ليس كما ذُكر فلو أُجيب عن سؤال سائل بأن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة هو عادة العرب في اساليب كلامها ، اجاب بأن ذلك غير صحيح وهو كما سماه (عكاز العميان) ، لان السامع اذا ملَّ من اسلوب واحد ليُنتَقل به الى اسلوب آخر لكي لايمل انما هو قدح في الكلام لا وصف له لانه لو كان حسناً لما مل ، ودليل ذلك ان الانتقال عن الغيبة الى الخطاب وبالعكس وُجِد في كلام وجيز في القران الكريم في عدة مواضع ولم يكن فيه أي تطويل(٢٥) .

وهو بذلك يبدي استغرابه من قول الزمخشري (رحمه الله) : ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انها يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء أليه(٢٦) .

ويقول : ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من اسلوب الى اسلوب انما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصدا لاستعماله الأحسن وعلى هذا فأذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه او استعمل في جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من اسلوب الى اسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه وما اعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة(٢٧) .

وكذلك كان رأي ابن الجوزي (رحمه الله) فقد رأى ان مجرد الانتقال لتنشيط ذهن السامع وخوفاً من الملال والضجر لا يكفي . فيقول : انا رأينا كلاماً اطول في هذا الاسلوب محفوظ كما في قوله تعالى ((ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.....)) (٢٨) الى ان ذكر عشرة اصناف وختم بالذاكرين الله كثيراً والذاكرات ولم يغير الاسلوب وانما المناسبة ان الانسان كثير التقلب وقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن ويقلبه كيف يشاء فأنه

يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة ويكون حاضرا فيغيب فالله تعالى لما قال ((الحمد لله رب العالمين)) [٢٩] تنبه السامع وحضر قلبه فقال ((اياك نعبد واياك نستعين)) [٣٠]) [٣١].

واما الفوائد الخاصة فتختلف بأختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم[٣٢] وهذا ما نستطرق اليه في اغراض الالتفات .

اقسامه : للالتفات اقسام كثيرة ذكرها علماء البلاغة واللغة فهناك اقسام اساسية اتفق عليها اكثر العلماء وزاد بعضهم انواعا اخرى عدوها من الالتفات او قالوا انها مما يقرب من الالتفات ، وكلها تعطي معاني مختلفة او تقوي معاني مذكورة او اريد التذكير بها .

قال القرطاجني : وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم او ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب الى الغيبة وكذلك ايضا يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاء على جهة الاخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب وانما يحسن الانتقال من بعضها الى بعض[٣٣] ، وان للمتكلم والخطاب والغيبة مقامات والمشهور ان الالتفات هو الانتقال من احدهما الى آخر بعد التعبير الاول[٣٤] .

وأيا كان التقسيم فالمهم هو مضمون الالتفات وهذه الاختلافات لا تفسد في الموضوع شيئاً ، وانما يؤتى بها لتيسير الامر وتوضيحه لطالب العلم خاصة والقاريء عامة ، فالكلام في هذا الموضوع كثير ومتشابك وايات القران تحتاج الى دقة وروية في تفسيرها وتوضيحها وهذا لا يتأتى للانسان العادي بل لمن عرف دقائق العلوم وعرف رموز الفصاحة والبلاغة . يقول ابن الاثير : ((واعلم ايها المتوشح لمعرفة علم البيان ان العدول عن صيغة من الالفاظ الى صيغة اخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة و البلاغة ، الذي اطلع على اسرارهما وفتش على دفائنهما ولا تجد ذلك في كلِّ كلام ، فإنه في اشكل ضروب البيان ، وادقها فهما واغمضها طريقاً)) [٣٥] .

والتقسيم العام للالتفات والذي حوته اكثر كتب البلاغة والادب هو :

١- الالتفات من التكلم الى الخطاب (او الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة) [٣٦] :-

ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث اقبل المتكلم عليه ، وانه اعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة[٣٧] .

ومنه قوله تعالى ((ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون)) [٣٨] فالاصل : واليه ارجع فالتفت من التكلم الى الخطاب ، اووضع (ومالي لا اعبد الذي فطرني)) مكان قوله (ومالكم لا تعبدون الذي فطركم)) ليتأتي مع قوله (واليه ترجعون) وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال ((اني امنت بربكم فأسمعون)) [٣٩] (ونكتته انه اخرج الكلام في موضع مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً واعلاماً انه يريد لهم ما يريد لنفسه) [٤٠] .

٢- الالتفات من التكلم الى الغيبة : ووجهه ان يفهم السامع ان هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر او غاب ، وانه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبدي من الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور ، كما في قوله تعالى ((انا اعطيناك الكوثر فصلِّ لربك)) [٤١] اذ لم يقل لنا تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية [٤٢] .

٣- الالتفات من الخطاب الى التكلم : ولم يقع في القران ولكن مثّل له بعضهم بقوله ((فأقض ما انت قاضٍ)) [٤٣] ثم قال ((انا آمنا بربنا)) [٤٤] وقيل:(وهذا المثال لا يصح لان شرط الالتفات ان يكون المراد به واحدا) [٤٥] . ولكن (فاقض)جمع في حال الخطاب والقائلين (انا امنا) جمع في حال التكلم فالانتقال من حال الخطاب الى حال التكلم نوع من الالتفات اذن فالمثال صحيح.

٤- الالتفات من الخطاب الى الغيبه : ومنه قوله تعالى ((حتى اذا كنتم في الفلك وجريت بهم بريحٍ طيبه)) [٤٦] والاصل : بكم ، ونكتة العدول عن خطابهم الى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم فالتفت عن الاول للاشارة الى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ماذكره عدولاً من الخطاب العام الى الخطاب الخاص [٤٧] .

٥- الالتفات من الغيبة الى الخطاب : ومثاله من سورة الفاتحة ((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين)) [٤٨] انتقل الى الخطاب لتميزه سبحانه بالصفات المذكورة قبل الخطاب تعظيماً لشأنه حتى كأنه قيل : اياك يا من هذه صفاتِه نخصُّك انت وحدك بالعبادة والاستعانة لا غيرك ، وذكر الحمد ثم العبادة لان الحمد دون العبادة الا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده [٤٩] .

٦- الالتفات من الغيبة الى التكلم (او الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس) [٥٠] : كقوله تعالى ((الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه)) [٥١] وفائدته التنبيه على التخصيص بالقدرة ، وانه لا يدخل تحت قدرةِ احد[٥٢] .

أما ما يقرب من الالتفات والذي عدّه التنوخي وابن الاثير قسماً اخر للالتفات زيادة على ماسبق ذكره ، هو نقل الكلام من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع الى خطاب الآخر وهو ستة اقسام ايضاً[٥٣] . هي :-

١- الالتفات من الواحد الى الاثنين : كقوله تعالى ((قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض)) [٥٤]

٢- الالتفات من الواحد الجمع : كقوله تعالى ((يا ايها النبي اذا طلقتم النساء)) [٥٥] .

٣- الالتفات من الاثنين الى الواحد : كقوله تعالى ((فمن ربكما يا موسى)) [٥٦] .

٤- الالتفات من الاثنين الى الجمع : كقوله تعالى ((واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة)) [٥٧] .

٥- الالتفات من الجمع الى الواحد : كقوله تعالى ((واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)) [٥٨] .

٦- الالتفات من الجمع الى الاثنين : كقوله تعالى ((يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فأنفذوا .....)) [٥٩]((الى قوله تعالىفبأي الاء ربكما تكذبان)) [٦٠]

ومما يقرب من الالتفات ايظاً : الالتفات من الماضي او المضارع او الامر الى اخر) وهو كما يأتي :

١- من الماضي الى المضارع : كقوله ((ارسل الرياح فتشير سحاباً)) [٦١]

(والاخبار بالفعل المستقبل عن الماضي اذا اتى به في حالة الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك في الاخبار بالفعل الماضي وذلك لان الفعل المستقبل يوضح الحالة التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها) [٦٢] .

٢- من الماضي الى الامر : كقوله ((قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم)) [٦٣] ويرجع عن الماضي الى الامر توكيداً لما أُجري عليه فعل الامر لمكان العناية بتحقيقه[٦٤] .

٣- من المضارع الى الماضي : كقوله ((ويوم ينفخ في الصور ففزع)) [٦٥] (فالتعبير عن المستقبل بلفظ المضي تنبيهاً على تحقق وقوعه وان ما هو للوقوع كالواقع) [٦٦] . ويفعل ذلك اذا كان الفعل المستقبل من الاشياء العظيمة التي يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضي ان الغرض بذاك يبين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض بهذا هو الدلالة على ايجاد الفعل الذي لم يوجد[٦٧] .

وذكر ابن الاثير ان ما يجري هذا المجرى الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل وانما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي كقوله تعالى ((ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)) [٦٨] (فأنه انما اثر اسم المفعول الذي هو (مجموع) على الفعل المستقبل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه الموصوف بهذه الصفة) [٦٩] . اذن هو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله او تكلمه ومنه قوله (غير المغضوب عليهم) [٧٠] بعد (انعمت) فإن المعنى (غير الذين غُضِبت عليهم) [٧١] . واشار السيوطي الى انه نوع غريب من الالتفات[٧٢] .

٤- من المضارع الى الامر : كقوله تعالى ((قال اني أُشهد الله واشهدوا اني بريء)) [٧٣] وليس الانتقال في هذا القسم طلبا للتوسع في اساليب الكلام فحسب بل لأمر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيماً لحال من اجري عليه الفعل المستقبل وتضخيماً لامره[٧٤] .

٥- من الامر الى الماضي : كقوله تعالى ((واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا)) [٧٥]

٦- من الامر الى المضارع : كقوله تعالى ((وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو

الذي اليه تحشرون)) [٧٦] .

وذكر بعضهم من الالتفات نوع آخر هو: تعقب الكلام بجملة مستقلة ملاقيه له في المعنى على طريق المثل او الدعاء فالاول كقوله تعالى ((وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) [٧٧] والثاني كقوله : ((ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم)) [٧٨]) [٧٩]فيمكن ان نسميه التفات التعقيب.

وقال ابن ابي الاصبع : جاء في القران من الالتفات قسم غريب جداً لم اضفر في الشعر بمثاله ، وهو ان يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين ثم يخبر عن الاول منها وينصرف عن الاخبار عنه الى الاخبار عن الثاني ثم يعود الى الاخبار عن الاول كقوله تعالى ((ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد)) [٨٠] انصرف عن الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى ، قال منصرفاً عن الاخبار عن ربه الى الاخبار عن نفسه ((وانه لحب الخير لشديد)) [٨١] قال : وهذا يحسن ان يسمى التفات الضمائر[٨٢] .

المعاني البلاغيه لاقسام الالتفات:

ان الاساليب البلاغية كثيرة ومتنوعة وقد حوى القران الكريم كل اساليب البلاغه العربية لانه نزل بلغة العرب الفصحاء فخاطبهم بلسانهم ليتحداهم به ، وكثيرا ما يرد الاسلوب البلاغي فيه مراداً به معنى اخر فمثلا الخبروالانشاء قد يخرجان الى اغراض ومعاني مجازية غير المعنى الحقيقي للاسلوب كذلك اقسام الالتفات فلكل موضع من مواضع الالتفات خصائص ولطائف ونكت يختص بها فهي تختلف بأختلاف محله[٨٣] . فمثلاً الانتقال من الخطاب الى الغيبة او من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة امر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب آخرغير انها لا تُحدُّ بِحَدً ولا تُضبط بضابط لكن يُشار الى مواضع منها ليُقاس عليها غيرها . اذن فالغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، وانما هو مقصود به العناية بالمعنى المراد وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى بلشعبة المعينة من المعنى على وفق الموضع الذي ترد فيه[٨٤] .

ولو بدأنا بدراسة ايات القران الكريم الوارد فيها اسلوب الالتفات لوجدنا اغراضاً كثيرة وفوائد جمّة لهذا الانتقال الحاصل في الكلام فهو تارة يأتي لزيادة التهديد والتحذير والوعيد وتارة يأتي للتعظيم ولتربية المهابة في النفوس ويقابله اظهار التواضع وتارة يأتي للبشارة الى

غير ذلك من المعاني والاغراض التي ترتقي بهذا الاسلوب الى اعلى درجات الذوق والبلاغة .

وسنتناول كل معنى بلاغي وارد في هذا الغرض بأعطاء مثال او مثالين للاشارة اليه لانه لا مجال لحصر كل الامثلة القرانية الدالة عليه في بحث صغيرمثل هذا البحث مع اننا اشرنا الى بعض هذه الامثلة والمعاني فيما سبق .

فمثال الالتفات لغرض التهديد والزجر قوله تعالى ((واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ، فأن تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم)) (٨٥) فقوله (فأن تبتم) أي من الكفر وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب وفائدته زيادة التهديد والضمير في (فهو) راجع الى التوبة المفهومة من تبتم ، وقوله (وبشر الذين كفروا .....) تهكم بهم وفيه من التهديد مالا يخفى(٨٦) .

وذكر سبحانه ما يجري مجرى الردع والزجر عماصنعه الكفار المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وسلم) يتذكيرهم بالامم الماضية وما فعلته فاهلكهم الله من قبل زمان هؤلاء بقوله ((ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا و جاءتهم رسلهم بالبينات ..... القوم المجرمين)) (٨٧) فقيل ان الخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في الزجر(٨٨) .

وفي قوله تعالى ((ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون)) (٨٩) فأمر سبحانه بتوحيده واعلام من لا يعلم بذلك مع التخويف لان في الانذار تخويفا وتهديداً والضمير في (أنه) للشأن ثم خاطب المستعجلين على طريق الالتفات بقوله (فاتقون) وهو تحذير لهم من الشرك بالله(٩٠).

والتفت سبحانه بنقل الحكاية الى التكلم بعد الغيبة لزيادة الترهيب والتحذير في قوله ((وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فإياي فارهبون)) (٩١) أي ان كنتم راهبين شيئاً فإياي فارهبون لا غيري(٩٢) .

وبذلك يكون غرض التحذير والوعيد والترهيب من اكثر الاغراض وابرز المعاني التي يفيدها هذا الاسلوب ثم تأتي باقي الاغراض والمعاني تباعاً .

فأسلوب التعظيم كثيراً ما يبرز بضمير (نا) المتكلم لاظهار الجلالة والعظمة كما في قوله تعالى ((واذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين)) (٩٣) فقد التفت من الغيبة الى الخطاب من قوله ((قال يا ادم انبئهم باسماهم .....)) (٩٤) الى التكلم لاظهار العظمة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال(٩٥) .

وفي قوله تعالى ((الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم ن دون الله من ولي ولا نصير)) (٩٦) فقوله (من دون الله) اظهار لاسم الجلالة موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الاشياء من الاحكام الالوهية(٩٧) .

وفي قوله تعالى ((ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد)) (٩٨) فهنا اضهار اسم الجلالة مع الالتفات للاشارة الى تعظيم الموعود والاجلال الناشيء من ذكر اليوم المهيب وللاشعار بعلة الحكم فأن الالوهية منافية الاخلاف(٩٩) .

ومن التعظيم الحاصل بإيراد الاسم الظاهر بدل الضمير ماورد في قوله تعالى ((وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بإذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)) (١٠٠) فذكر (واستغفر لهم الرسول) ولم يقل (واستغفرت لهم) فعدل عنه الى طريقة الالتفات تضخيماً لشأنه (صلى الله عليه وسلم) وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان رحيم بهم(١٠١) .

قيل : جاء اعرابي بعد دفنه _ صلى الله عليه وسلم _ فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على راسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل اليك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم .....) وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله من ذنبي فأستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك(١٠٢) .

ويقابل التعظيم التواضع وهو كثير ولكن نقتصر على مثال هو الابرز والا ظهر في قوله تعالى ((مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين)) (١٠٣) فعدل عن الغيبة الى الخطاب لقصد الالتفات وكما مرّ سابقاً من ان نقل الكلام من اسلوب الى اخر احسن تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظاً له ، والمجيء بالنون في الفعلين لقصد الاخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد وقيل : ان المقام لما كان عظيماً لم يستقل به الواحد استقصاراً لنفسه واستصغاراً لها فالمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس ، وقدمت العبادة

على الاستعانة لكون الاولى وسيلة الى الثانية ، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب واطلاق الاستعانة لقصد التعميم(١٠٤) .

وقد ينتقل في الكلام من اسلوب الى اخر بطريق الالتفات لقصد اخر ومعنى اخر هو من اعجاز القران واسلوبه البليغ المقنع وهذا الغرض هو الترغيب والتعلم او الارشاد .

مثاله قوله تعالى ((فإن ارادا فصالا عن تراض منهما فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم .....) (١٠٥) فالمعنى ان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الاباء لهزهم وترغيبهم الى الامتثال بما امروا به(١٠٦) .

وكذلك في قوله تعالى ((وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فأرهبون)) (١٠٧) .

فقد نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم بقوله (فاياي فارهبون) وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترغيب من قوله فاياه فارهبوا(١٠٨) . وهذا من اسلوب القران البديع فهو يأتي باللين والتساهل بعد الامر المباشر الصريح وبعد الوعد والوعيد تطييباً للنفس وحثها على الرضا بما أُمِرت به بعد تحبيب الامر اليها .

الخاتمة

الحمد لله العظيم الذي اعانني على اكمال هذا البحث المتواضع والذي ارجو ان اكون قد وفقت في اخراجه بالصورة المناسبة والمفيدة .

وبعـــــــــــــــــــد :

لا بد لي ان اقف على بعض الامور التي ارى انها مهمة وقد تناولتها في اثناء البحث واهم ما ظهر لي من نتائج هي ان :

الالتفات وكما مر في البحث حقيقة مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله ، واستعمل في نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اخر ، لكن هل هذا الانتقال حقيقة ام مجاز ؟ وقد أجاب السبكي عن ذلك وهو ما نقله السيوطي في الاتقان مظهراً اهمية هذا الرأي من ان الالتفات حقيقة اذ لم يكن معه تجريد .

وذكر اهل البلاغة ان الالتفات وُصف بأنه تطرية وتنشيط واستجلاب للسامع وصيانة خاطره من الملال والضجر ، اما ابن الاثير ، فلم يرغب في وصف الالتفات بهذا الوصف فقد عد ذلك بأنه غير صحيح لان السامع اذا مل من اسلوب واحد لينتقل به الى اسلوب اخر لكي لا يمل انما هو قدح في الكلام لا وصف له ، لانه لو كان حسناً لما مل ، ودليله وجود كلام وجيز في القران الكريم في عدة مواضع لم يكن فيه تطويل ، ووافقه ابن الجوزي في هذا الرأي .

أما الأغراض البلاغية للالتفات فهي كثيرة ولا يظهر ذلك المعنى او الغرض الا من خلال السياق فقد يكون الغرض ، زيادة التهديد والتحذير والوعيد وتارة يكون للتعظيم وتربية المهابة في النفس ويقابله التواضع وقد يكون للبشارة والوعد ..... الى غير ذلك .

وقد وجدت ان زيادة التهديد والتحذير والوعيد هو الغرض الأبرز والأكثر للالتفات في القران الكريم ، لان الالتفات في الأصل وكما ذكرنا سابقاهو لجلب الانتباه وهذا لا يكون الا اذا كان الأمر شديد الأهمية ولا يوجد شيء اكثر أهمية من (تحذير او تهديد او وعيد) يراد شد الانتباه اليه ، وباقي الأمور والأغراض تتدرج بعدها نزولاً في الأهمية .

وبعد ذلك يظهر ان استخدام القران للالتفات جاء اولاً ليطابق كلام العرب لان القران نــزل بلغة العرب وفاقت بلاغته بلاغتهم ، وكذلك لزيادة القوة والتأكيد في معنى الآية التي يرد

الهوامش

١- سورة الرحمن : ٦٠

٢- سورة فصلت : ٤٠

٣- ينظر لسان العرب : ٨٤/٢ مادة (لفت) ، وتاج العروس : ١١٦٨/١ .

٤- المصباح المنير : ٥٥٥/٢ .

٥- ينظر تاج العروس : ١١٦٨/١ ، والفائق : ٣٢٤/٣

٦- ينظر سنن ابي داود : ٧٢٠/٢ وسنن الترمذي : ١٤١/٥ ومسند الامام احمد : ١٦٥/٢ .

٧- البرهان في علوم القران ٣١٤/٣ ، والاتقان : ١١٢/١ .

٨- ينظر الكشاف : ٧/١ ، والتعريفات : ٥١/١ ، والتعاريف : ٨٧/١ .

٩- المثل السائر : ٣/٢ .

١٠- سورة يونس : ٢٢ .

١١- سورة فاطر : ٩ .

١٢- التحرير والتنوير : ٦١/١ .

١٣- الخصائص : ٦٧/٢ .

١٤- ينظر المثل السائر : ٣/٢ ، والتحرير والتنوير ١٠٣/١ .

١٥- ينظر الاتقان : ١١٢/١ .

١٦- ينظر مفتاح العلوم : ٢٩٦ ، والايضاح : ٧٢/١ .

١٧- ينظر مفتاح العلوم : ٢٩٦ ، والبرهان : ٣١٥/٣ ، والاتقان : ٢٢٩/٢ .

١٨- ينظر الايضاح : ٧٢/١ .

١٩- ينظر الكشاف : ٤/١

٢٠- ينظر البرهان : ٣١٤/٣ .

٢١- ينظر التحرير والتنوير : ٦٥/١ .

٢٢- ينظر البرهان ٣/٣٢٥ ، والاتقان ١/١١٢ .

٢٣- ينظر الكشاف ١/٢٣ ومعترك الاقران ١/٣٢٥ .

٢٤- ينظر البرهان ٣/٣١٤ و ٣/٣٢٥ .

٢٥- ينظر المثل السائر : ٢/٣ .

٢٦- ينظر الكشاف : والايضاح : ١/٧٤ .

٢٧- ينظر المثل السائر : ٢/٣ و ٢/٤ .

٢٨- سورة الاحزاب : ٣٥ .

٢٩- سورة الفاتحة : ١ .

٣٠- سورة الفاتحة : ٥ .

٣١- ينظر زاد المسير : ٣/٣٧٤ والبرهان : ٣/٣٢٥ – ٣٢٦ .

٣٢- ينظر البرهان : ٣/٣٢٦ .

٣٣- ينظر منهاج البلغاء : ١٣٤ .

٣٤- ينظر البرهان : ٣/٣١٥ .

٣٥- ينظر المثل السائر : ٢/١٢ .

٣٦- المثل السائر : ٢/٧ .

٣٧- ينظر البرهان : ٣/٣١٥ ومعترك الاقران : ١/٢٨٦ .

٣٨- سورة يس : ٢٢ .

٣٩- سورة يس : ٢٥ .

٤٠- المثل السائر : ٢/٧ .

٤١- سورة الكوثر : ١ .

٤٢- ينظر البرهان : ٣/٣١٦ ومعترك الاقران : ١/٢٨٧ .

٤٣- سورة طه : ٧٢ .

٤٤- سورة طه : ٧٣ .

٤٥- معترك الاقران : ١/٢٨٧ .

٤٦- سورة يونس : ٢٢ .

٤٧- ينظر البرهان : ٣/٣١٨ ومعترك الاقران : ١/٢٨٨ .

٤٨- سورة الفاتحة : ١ .

٤٩- ينظر المثل السائر : ٢/٥ ومعترك الاقران : ١/٢٩٠ .

٥٠- المثل السائر : ٢/٥ .

٥١- سورة الروم : ٤٨ .
٥٢- ينظر البرهان : ٣١٩/٣ ومعترك الاقران : ٢٨٨/١ .
٥٣- ينظر الاقصى القريب : ١٣٤ والمثل السائر : ٧/٢-١٢ .
٥٤- سورة يونس : ٧٨ .
٥٥- سورة الطلاق : ١ .
٥٦- سورة طه : ٤٩ .
٥٧- سورة يونس : ٨٧ .
٥٨- سورة الاحزاب : ٤٧ .
٥٩- سورة الرحمن : ٣٣ .
٦٠- سورة الرحمن : ٣٤ .
٦١- سورة فاطر : ٩ .
٦٢- المثل السائر : ١٥/٢ .
٦٣- سورة الاعراف : ٢٩ .
٦٤- ينظر المثل السائر : ١٢/٢ ، والبرهان : ٣٣١/٣ ، ومعترك الاقران :٢٩١/٢
٦٥- سورة النمل : ٨٧ .
٦٦- الايضاح : ٧٧/١ .
٦٧- ينظر المثل السائر : ١٥/٢ .
٦٨- سورة هود : ١٠٣ .
٦٩- ينظر المثل السائر : ١٦/٢ .
٧٠- سورة الفاتحة : ٧ .
٧١- ينظر الاقصى القريب : ٣١٥ ، والمثل السائر : ١٦/٢ .
٧٢- ينظر معترك الاقران : ٢٩٠/١ .
٧٣- سورة هود : ٥٤ .
٧٤- ينظر المثل السائر : ١١/٢ ومعترك الاقران : ٢٩٢/١ . د
٧٥- سورة البقرة : ١٢٥ .
٧٦- سورة الانعام : ٧٢ .
٧٧- سورة الاسراء : ٨١ .
٧٨- سورة التوبة : ١٢٧ .
٧٩- البرهان : ٣٣٥/٣ .

٨٠- سورة العاديات : ٦-٧ .

٨١- سورة العاديات : ٨ .

٨٢- ينظر التحرير والتحبير : ١٩٧ ومعترك الاقران : ١/٢٩٠-٢٩١ .

٨٣- ينظر الاتقان : ٢/٢٢٩ .

٨٤- ينظر المثل السائر : ٢/٤ .

٨٥- سورة التوبة : ٢ .

٨٦- ينظر فتح القدير : ٢/٤٨٤ .

٨٧- سورة يونس : ١٣ .

٨٨- ينظر فتح القدير : ٢/٦٢٢ .

٨٩- سورة النحل : ٢ .

٩٠- ينظر فتح القدير : ٣/٢١٠ .

٩١- سورة النحل : ٥١ .

٩٢- ينظر فتح القدير : ٣/٢١٠ .

٩٣- سورة البقرة : ٣٤ .

٩٤- سورة البقرة : ٣٣ .

٩٥- ينظر ارشاد العقل السليم : ١/٨٧ .

٩٦- سورة البقرة : ١٠٧ .

٩٧- ينظر ارشاد العقل السليم : ١/١٤٣ .

٩٨- سورة ال عمران : ٩ .

٩٩- ينظر روح المعاني : ٣/٩١ .

١٠٠- سورة النساء : ٦٤ .

١٠١- ينظر الايضاح : ١/٧٥ .

١٠٢- ينظر النسفي : ١/٢٣٠ .

١٠٣- سورة الفاتحة : ٥ .

١٠٤- ينظر فتح القدير : ١/٣٥ .

١٠٥- سورة البقرة : ٢٣٣ .

١٠٦- ينظر ارشاد العقل السليم : ١/٢٣١ .

١٠٧- سورة النحل : ٥١ .

١٠٨- ينظر النسفي : ٢/٢٥٨ .

المصادر والمراجع

۞القران الكريم .

١- الاتقان في علوم القران : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) عالم الكتب – بيروت .

٢- ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) تحقيق : محمد عبد السلام محمد / دار احياء التراث العربي – بيروت ط١ ، ١٤٠٨هـ .

• الاقصى القريب في علم البيان : لابي عبد الله محمد بن محمد بن عمر التنوخي (ت ٧٤٩هـ) مطبعة السعادة ، مصر ط١ ، ١٣٢٧ هـ .

• الايضاح في علوم البلاغة : جلال الدين ابو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، دار احياء العلوم – بيروت ، ط٤ – ١٩٩٨م .

• البرهان في علوم القران : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ابو عبد الله (ت٧٩٤ هـ) – تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ .

• تاج العروس : للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ) دار مكتبة الحياة ، بيروت المطبعة الخيرية – مصر – ط١ ، ١٣٠٦ هـ .

• التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣ م) مطبعة الدار التونسية لنشر .

• التعاريف : (التوقيف على مهمات التعاريف) محمد عبد الرؤوف المناوي / تحقيق د٠ محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر – دار الفكر ، بيروت – دمشق ، ط١ ، ١٤١٠ هـ .

• التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق ابراهيم الابياري – دار الكتاب العربي – بيروت ط١- ١٤٠٥ هـ .

• روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني : ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ت (١٢٧٠ هـ) دار احياء التراث العربي – بيروت .
• زاد المسير في علم التفسير : للامام ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٠٨ هـ) المكتب الاسلامي للطباعة والنشر – دمشق ط٣ ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .
• سنن ابي داود : سليمان بن الاشعث ابو داود السبستاني الازدي / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر – بيروت .
• سنن الترمذي (الجامع الصحيح) محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي / تحقيق اخمد محمد شاكر / دار احياء التراث العربي – بيروت .
• الفائق في غريب الحديث : محمود بن عمر الزمخشري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ط٢ ، دار المعرفة – لبنان .
• فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ط١– مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ١٣٥٠ هـ .
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للامام جار الله تاج الإسلام محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ) مطبعة دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .
• لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الافريق المصري ، دار صادر – بيروت – ط١
• المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ابي الفتح ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥م .
• مسند احمد بن حنبل : احمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني / مؤسسة قرطبة – القاهرة .
• المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المكتبة العلمية – بيروت .
• معترك الاقران في اعجاز القران لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد علي البجاوي دار الثقافة العربية للطباعة .
مفتاح العلوم : ابي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) تحقيق : د . عبد الحميد الهنداوي دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
• النسفي : تفسير النسفي لابي البركات عبد الله بن احمد بن محمد النسفي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، دار الشعب / القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .